د. محمد الهمشري
مساعد رئيس بالأكاديمية العسكرية للدراسات العليا والاستراتيجية

الإعلام ومعالجته لأزمات الطاقة

شهد العالم خلال العقود الأخيرة حالة من عدم الاستقرار ظهرت آثارها في تحول بعض الدول من مركزية مستقرة إلى أشباه دول فاقدة السيطرة إن صح التعبير، وكان ذلك نتاجاً لظهور ثروات الطاقة بها؛ حيث كانت غير قادرة على حماية مقدراتها مما أدى إلى تداعى القوى العظمى والكبرى عليها وجعلها مسرحاً للتنافس وملعباً جيوسياسياً مستنداً على نظريات هيمنة كلاسيكية تدعمها القوى الناعمة تكملها وتؤججها.

ولنا أن ندرك أن الطاقة عصب الحياة وهى مصدر القوة الاقتصادية لكثير من الدول، إلا أنها أصبحت سبباً مباشراً لنشوب الصراعات القائمة إقليمياً ودولياً؛ مما جعلها تلعب دوراً هاماً في إعادة تشكيل النظام الدولي وتطوره مرحلياً كنتائج محسوبة لأزمات ثم إدارتها بصور متباينة ومختلفة أيديولوجية تارة وإثنية تارة أخرى واتجاهها، إلا بعض الدول الرشيدة والتي سرعان ما استعادت زمام أمورها.

لقد لعب الإعلام وأدواته ووسائله دوراً كبيراً إن لم يكن رئيسياً من خلال معالجته ذات الصور المتعددة والمختلفة، حيث كان محركاً فاعلاً دافعًا خلف إخلال التوازن الاستراتيجي الدولى وتشكيل بؤر الأزمات في العالم وخاصة منطقة الشرق الأوسط؛ حيث كان التفاعل الجيوسياسي السلبي بين دول المنطقة ثم تغير الأبواق الإيرانية لتهديد منطقة الخليج ونفخ كير الإثنية الطائفية داخل العراق ثم تصدرت على أنقاضه ميليشيات أيديولوجية مسلمة تجاهد في سبيل عقائدها عند (آبار النفط ومنابع الغاز) وتنتشر على مسارات نقل الطاقة من مناطق استخراجها وإنتاجها إلى أسواقها المستقبلية في أوروبا عبر التمهيد الساكسوعثمانى الطامح إلى أن يكون وكيلاً للطاقة عوضاً عن روسيا التي تستنزف حالياً في صراع تم استدراجها إليه لإخراجها من هذه السوق الواعدة مستقبلاً.

لـذا فقـد أصبـح لازمـاً علـى كل الحكومـات أن تضـع فـي أولويـات سياسـاتها الإعلاميـة اسـتراتيجية المجابهـة الإيجابيـة لـكل الممارسـات والمعالجـات الإعلاميـة السـلبية التـي قـد تـؤدى بدورهـا إلـى الإخـلال بأمـن واسـتقرار دولها؛ ومـن هنـا حرصنـا علـى أن نتنـاول فـي هـذا المقـال تحليـل التغطيـة الإعلاميـة حـول أزمـات الطاقـة وخاصـة فـي ظـل الآونـة الأخيـرة ومـا تشـهده مـن متغيـرات وتبعـات أدت إلـى تفاقـم الصـراع الدولـي بسـبب محاولـة كل طـرف مـن الأطـراف الدوليـة والإقليميـة فـرض سـيطرة ممـا يـؤدى إلـى توجيـه سياسـات الطاقـة نحـو مصالحهـا وهـو مـا يحـاول الإعـلام القيـام بـدوره فـي معالجـة أزمـات المجـال.

وهنـا تجـدر الإشـارة إلـى أن أزمـة الطاقـة التـي كانـت مصاحبـة إلـى حـرب أكتوبـر 1973م كانـت أحـد الأسـباب المباشـرة فـي توجيـه أنظـار الـدول العظمـى والكبـرى إلـى القيـام بتأميـن مصـادر الطاقـة لصالحهـا فـي مختلـف أنحـاء العالـم، وكان مـن بيـن أثـر هـذه الأدوات اسـتخدام الإعـلام بمختلـف وسـائله وأسـاليبه ومعالجتـه كنـوع مـن الأنشـطة الداعمـة للعمليـات العسـكرية والاقتصاديـة فـي مجـال السـيطرة علـى الطاقـة.

ونحـاول هنـا أن نقـدم لمحـة عامـة عـن الآليـات والعمليـات الرشـيدة التـي لوحظـت فـي المعالجـات الإعلاميـة التـي سـاهمت بقـدر كبيـر فـي زعزعـة أمـن واسـتقرار مناطـق عديـدة فـي العالـم حيـث يتنـاول هـذا المقـال تحليـل التغطيـة الإعلاميـة حـول أزمـات الطاقـة وخاصـة فـي ظـل الآونـة الأخيـرة ومـا تشـهده مـن متغيـرات وتباعـات تؤثـر علـى الطاقـة فـي كافـة أنحـاء العالـم؛ حيـث أدت أزمـة الطاقـة إلـى تفاقـم الصـراع الدولـى بسـبب محاولـة كل طـرف مـن الأطـراف الدوليـة والإقليميـة إلـى فـرض سـيطرته علـى مصـادر الطاقـة فـي مناطـق الطاقـة بالعالـم، وبالتالـي قـد تـؤدي كل أزمـة طاقـة إلـى تغييـر اتجـاه وإطـار سياسـة الطاقـة الحاليـة، وهـو مـا يحـاول الإعـلام القيـام بـدوره فـي معالجـة هـذه الأزمـات الخاصـة بالطاقـة فـي المجتمـع الدولـي.

علاوة على ذلك، نجد أن الفكرة الرئيسية التي يعتمد عليها المقال هي أن وسائل الإعلام عوامل أساسية لمعالجة الأزمات والتخصيص المناسب لأدوات الإعلام في تناول أزمات الطاقة في ظل استمرار السياق المتغير، نظرًا لأهمية الإعلام لكونه نوعًا رابعًا من الثورة لكونه مرتبطًا بالتطورات العلمية والتكنولوجية التي تساهم في توسيع الآفاق وبناء المعلومات، وجذب الجمهور، مع المقارنة بين تأثير التلفزيون والصحافة والإعلام الإلكتروني. مع كلا البعدين، وتوسيع مجالات الحياة والأبعاد الاقتصادية لأن أي تدفق للوسائط سيجعل الناس أكثر قدرة على العمل.

لذلك يعد الهدف الحقيقي من هذا المقال هو تقديم لمحة عامة عن الآليات والعمليات الرئيسية التي لوحظت في المعالجات الإعلامية مع إمكانية تشكيل الاستجابات الإعلامية لقضايا أزمات الطاقة في أوقات الأزمات، يجب على الأدوات الإعلامية اتخاذ قرارات عاجلة عندما تكون الحقائق غير مؤكدة وخاصة وسائل الإعلام الموجودة. تزعزع الأزمة استقرار وسائل العمل وتفتح الباب أمام اهتمام وسائل الإعلام يهدد عمل النظام نفسه ويقوض المراجع الأساسية والخيارات الجماعية لأصحاب المصلحة المتأثرين.

في هذا السياق، يتسبب ظهور الأزمة في حدوث متغيرات على الصعيد العالمي؛ لذلك يتم تحديد أزمة الطاقة كعامل تمكين حاسم للتنمية الاقتصادية. إنه يجذب المصالح الجيوسياسية، والاجتماعية والاقتصادية، والتكنولوجية، والبيئية، والقانونية، وبالتالي لا يمكن تجاهله، وهو ما يمكننا أن ننسب إلى وسائل الإعلام دورها في تسليط الضوء باستمرار على القضايا المتعلقة بأزمات الطاقة في العالم، لذلك دور وتأثير وسائل الإعلام في كل مجال من مجالات الحياة هو مباشر ومسيطر.

أولاً: مفهوم الإعلام والمعالجة الإعلامية للأزمات:

الإعلام هو نشاط بشري قائم على الفكرة، والمشاركة والإقناع من خلال نقل المعلومات والحقائق والأخبار والأرقام والإحصاءات، ويمكن ربط مرادف لكلمة «وسائل الإعلام» بـ «الاتصال الجماهيري» مع مراعاة الاختلاف بين الوسائط التي يكون الهدف فيها هو افتراض الحياد والدعاية التي تتبع أسلوب الإغراء والإثارة وإثارة المشاعر، افترضت وسائل الإعلام مواكبة الثقافة والحضارة القائمة ورفع مستوى الرأي العام بيئيًا وثقافيًا وبناء المعرفة وتجسيدًا للمضاعفات.

على الرغم من أن مفهوم الأزمة قد نوقش على نطاق واسع لسنوات، فقد شهد مؤخرًا نشر مصطلحات (الأزمة) المطبقة على مختلف الظواهر الاجتماعية الكلية حيث تعمل الأزمة باعتبارها «كلمة رئيسية» خاصة تتجلى في الخطابات التي ينتجها الاقتصاديون والسياسيون والصحفيون. يتم الحديث عن أزمات الثقافة والتعليم والعلوم والمالية والطاقة.

وفي عصر المعلومات، تعتبر وسائل الإعلام من أهم وسائل الاتصال. وهذا يخلق دورًا مهمًا لوسائل الإعلام في القيام بدورها ومعالجاتها الإعلامية لإعادة تشكيل الرأي العام بسبب انتشار الوصول؛ فالأزمات بجميع أشكالها جزء لا يتجزأ من حياة البشرية وتنوعها يتزايد بمرور الوقت حيث تلعب وسائل الإعلام دورًا خاصًا في توفير المعلومات وتوعية الناس بالوضع أثناء الأزمات.

لذلك فإن وسائلها وأدواتها تلعب دورًا مهمًا فيما يتم التخطيط له، وكيف يتم التفكير فيه، وماذا وكيف ولماذا تؤثر على الجماهير حيث ينتشر في أعين الناس البسطاء، بغض النظر عن مستوى تعليمهم، فالاعتقاد بأن وسائل الإعلام تتمتع بقوة لا يمكن تصورها هو أمر متعلق في الصورة الذهنية للجماهير.

حيث يعتقد معظم الناس أن وسائل الإعلام يمكنها تغيير الآراء الفلسفية والسياسية، وإعطاء الأفكار شكلاً جديدًا وتوجيه جميع أفعال الجماهير هذه تظهر الدور الذي لا يمكن إنكاره لوسائل الإعلام في المجتمعات البشرية خاصة في حالات الأزمات حيث يمكنهم مساعدة الضحايا أو بدلاً من ذلك زيادة مشاكلهم ومعاناتهم، فبخلاف الوظيفة الاقتصادية الواضحة، فإن للإعلام وظيفة اجتماعية مهمة. من خلال جعل وجهات نظر جزء من بلد ما معروفة للآخرين، تصبح وسائل الإعلام وسيطًا للحوار على مستوى الأمة حول مسائل السياسة ويمكن لوسائل الإعلام أن تساعد في دمج مجتمعنا معًا في أمة ذات هوية ثقافية مشتركة.

ثانياً: دور وسائل الإعلام في توعية الجماهير:

يجب أن تزود وسائل الإعلام الحرة والمستقلة المواطنين بمعلومات دقيقة وشاملة وعالية الجودة، هذا حق وواجب في نفس الوقت. يجب أن تؤدي الوسائط هذه الوظيفة الرئيسية في جميع الأوقات، لكنها لا تزال أكثر مهمة في أوقات الأزمات، عندما يجب أن يكونوا قادرين على تحفيز النقاش حول التدابير الصحيحة لمواجهة أسباب الأزمة وآثارها السلبية والتغلب عليها.

يجب أن تسهل وسائل الإعلام أيضًا مشاركة المواطنين في المناقشات حول التغييرات طويلة المدى المطلوبة لزيادة قدرة المجتمع على الصمود أمام الأزمات المستقبلية المحتملة. يجب أن يلعبوا دورًا رئيسيًا كحلقات وصل بين صانعي القرار والجمهور وأن يلعبوا دورًا تربويًا من خلال تحليل وشرح الأزمات الجديدة حيث فرضت لمعالجة الأزمة والسلوك الذي يتوقعه الإعلام من المواطنين.

يتعقد دور الإعلام في توعية الجماهير في ظل تزايد مخاطر المعلومات المضللة والتلاعب بالمعلومات في أوقات الأزمات. التهديد الذي يعمل على تضخيم اضطراب المعلومات وتصبح الحاجة إلى منعه ومكافحته أكثر إلحاحًا. الاحتراف والشمول في التحقق من المعلومات المنشورة هو كل شيء في أوقات الأزمات ووسائل الإعلام ويجب أن تكون على دراية بالمسؤولية المتزايدة التي يتعين عليهم تحملها تجاههم، يجب أن تضاعف منصات وسائل التواصل الاجتماعي جهودها لمواجهة اضطراب المعلومات من خلال تطوير أدوات التحقق وتعزيز مصادر الأخبار الموثوقة والدقيقة.

بينما يستمر قطاع أزمات الطاقة في التطور والتحول من المصادر التقليدية للطاقة إلى موارد مستدامة أنظف مثل طاقة الرياح والطاقة الشمسية ونفايات الكتلة الحيوية، يظل الوعي المجتمعي بشأن توافر المنتجات والاستخدامات المتنوعة فجوة معرفية، وبالتالي، يجب أن نستثمر بشكل متعمد في بناء قدرة إعلامية قادرة على فهم ونقل المعلومات المتعلقة بأزمات الطاقة المتجددة لتوعية الجمهور؛ لذلك يجب تمكين وسائل الإعلام المتنوعة لفك شفرة التعقيد إلى بساطة يفهمها الجميع ويتوافق معها.

وبالتالي يمكن لوسائل الإعلام أن تهدئ الجماهير وتشجعهم على القيام بأعمال إيجابية، والعكس بالعكس، ترهب الجماهير وتخلق الفوضى في ظل الأزمات المحيطة بهم بسبب الانتشار والتأثير المتزايد لوسائل الإعلام في مجتمع اليوم، فقد أصبحت جزءًا لا يتجزأ من أي وضع. وبالتالي تسهل وسائل الإعلام الوصول إلى المعلومات لواضعي السياسات والمواطنين على حد سواء وتزيد من سرعة تجميع المعلومات الجديدة وتوزيعها، وتوظيفها بالشكل المطلوب والهدف المراد تحقيقه تجاه الجماهير.

ثالثاً: الإعلام وأزمات الطاقة:

يعيش العالم اليوم في حالة من التعقيد في جميع المجالات، والتي غالبًا ما ينتج عنها الكثير من الأزمات، بدءًا من أزمة الطاقة المعاصرة، وما يترتب عليها من خلال الأزمات السياسية والاقتصادية إلى جانب الأزمة البيئية. فقد طالت الأزمات كافة مجالات الحياة والعمل على إعادة تشكيل العالم وفق رؤى تتجاوز قدرة المجتمعات والأفراد على السيطرة عليها، سواء كانت إرهابًا أو أزمة مالية، أو حربًا وإبادة جماعية، أو نزوحًا جماعيًا للسكان، أو كوارث بيئية.

في موازاة ذلك، غالبًا ما تخلق الأزمات آليات للتفكير في استراتيجيات جديدة فعالة حيث يتعين على جميع قوى المجتمع المساهمة في إطلاق مرحلة جديدة من الحياة المستقرة في مواجهة تحديات «مجتمع المخاطرة» لذا فإن الحكومات مدعوة إلى تطوير سياسة اتصالات لتحسين وضوح العمل العام وضمان الفعالية والكفاءة، فإن نسج شروط تحالف بين وسائل الإعلام الحكومية والسياسيين، مبني على هيكل الثقة المتبادلة وعدم الثقة الذي يفسر تناقضه انعدام الأمن.

تضخم وسائل الإعلام وتضخم سياق أزمة الطاقة فهي تلائم الكارثة وبالتالي تغير إدارة الأزمة. وبسرعة متزايدة، فإن كافة الأطراف المتنافسة على مصادر الطاقة يمارسون ضغوطًا قوية لعدم حصول وسائل الإعلام على المعلومات الدقيقة، فإن المسؤولية الأساسية عن التواصل في الأزمات تقع على عاتق السلطات العامة والسياسيين والقنوات الإعلامية، خارج الأزمة، يميل المسؤولون والسياسيون إلى الاحتفاظ بخبرة بناء المعرفة. لكن سياسة الاتصال الخارجية اكتسبت مؤخرًا قيمة جوهرية بسبب قيود مختلفة: الدقة في المعلومات، والالتزام بالمساءلة، ووضوح العمل العام.

لذلك شرعت وسائل الإعلام في دول العالم في التركيز على أزمات الطاقة وأنشطة السياسيين وغيرهم من صانعي القرار في قطاع الطاقة فجميع أزمات الطاقة تختبر الدور المحوري لوسائل الإعلام في حياتنا وتأثيرها الكبير على الأنماط المعرفية وكذلك السلوكية، يجب أن تكون هذه التغطية مفيدة في المستقبل لاختيار أكثر فعالية لوسائل الإعلام المناسبة لنشر المعلومات المرتبطة بأزمات الطاقة.

ومن أبرز أدوار وسائل الإعلام في إمكانية تأثير تغطية الإعلام لأزمة الطاقة في أسعار الطاقة مثل الفحم والغاز الطبيعي والنفط الخام، التي ارتفعت مرتين إلى أربع مرات في منتصف عام 2022 مقارنة بعام 2019. وقد جعلت منتجي الفحم المحليين أكثر اهتمامًا بالتصدير إلى الخارج، مما أدى إلى استنفاد إمدادات الفحم المحلية.

رابعاً: المعالجة الإعلامية لأزمات الطاقة:

إن الأطر الإعلامية التي تسلط الضوء على أزمات الطاقة من خلال التركيز أو حذف بعض الآثار السياسية أو الاقتصادية أو البيئية والمخاطر والفرص المستقبلية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على قاعدة المعرفة، ودائمًا ما ينزعج الرأي العام أثناء الأزمات. في هذه المواقف، يمكن لوسائل الإعلام أن تشارك في جهد منظم للسيطرة على المشاعر العامة والسيطرة على الرأي العام بموقف إيجابي. وتجدر الإشارة إلى أنه بدون المواقف الإيجابية في وسائل الإعلام، لن يكون لأفضل الجهود التي يبذلها صانعو السياسات والمديرون أفضل تأثير ممكن.

وفي هذه الحالات، يجب أن يتلقى المراسلون العاملون لوسائل الإعلام المعلومات من مصادر رسمية فقط من أجل الحد من عدد المعلومات المتناقضة والمربكة. تعد المعلومات الدقيقة والمحدثة من أهم العوامل في إيجاد الحلول في المواقف غير العادية والأزمات، وتوفير هذه المعلومات الدقيقة هو أفضل وسيلة لوسائل الإعلام لمساعدة ضحايا الكوارث. خبراء الإعلام والمراسلون هم الجسر الذي يربط بين الشعب والحكومة. إذًا، من خلال النظر في طبيعة المجتمع، فإن وسائل الإعلام تلعب دورًا نشطًا وإيجابيًا قبل وأثناء وبعد الطبيعي.

لذلك يُنظر إلى المعالجة الإعلامية على أنها أداة لتحسين تغطية جودة وفعالية أزمات الطاقة، من خلال توافر المتطلبات التالية:

1– دور وسائل الإعلام ذات الجمهور الواسع لتسليط الضوء على أزمات الطاقة.

2– مسح للرأي العام هو الاستفتاء والتحليل والمراقبة وقياس الرأي العام لأزمة الطاقة.

3– القيام بمعاينة من خلال المقابلات مع الجمهور نفسه، ثم يتم فحصها لتحديد مدى فعاليتها مع الأزمة.

4– إعداد تقييم لوجهات النظر وكيفية التعامل معها من خلال أدوات وسائل الإعلام وتخصيص أدوات وتقنيات لتغطية وجهات نظر الجمهور.

فمع التواجد المتزايد باستمرار لوسائل الإعلام في المجتمع، تصبح قوتها ودورها في أزمات الطاقة المختلفة أكثر أهمية. وهو ما يستوجب على وسائل الإعلام تجنب نشر التقارير الكاذبة وإدارة الآراء العامة من خلال إنتاج أخبار دقيقة ومتنوعة وجديدة. تعد زيادة المعلومات والوعي فيما يتعلق بموضوع معين مثل الأزمة وإظهار أنماط الأزمات من بين التقنيات المفضلة في وسائل الإعلام. عرض الاحتياجات الحقيقية لأزمات الطاقة، ومساعدة المسؤولين في جمع وتنظيم المساعدات الإنسانية ومساعدة إنفاذ القانون لوقف النهب في مناطق الطاقة من بين الإجراءات التي يجب أن تكون من أولويات وسائل الإعلام أثناء أي كارثة أو أزمة.

ختاماً:

الذي يؤكد أن النظر إلى أزمة الطاقة من خلال منظور إعلامي يتطلب دائمًا التحديث الانعكاسي الذى يؤكد العلاقة بين مفاهيم الإعلام والمعالجة الإعلامية و الأزمات والمخاطر. حيث تتشكل المعالجة الإعلامية للأزمة كعنصر من عناصر الأنشطة الإنسانية من خلال التغطية الإعلامية فإذا تمكنت وسائل الإعلام من التأثير على الرأي العام إلى هذه الدرجة، فبموجب هذه الظروف يمكن لوسائل الإعلام أن تخلق دوامة سلبية وتزيد من تفاقم الكارثة ومتى يمكن أن تساعد في زيادة الاستقرار والسيطرة على الوضع.

يلعب الإعلام والمعالجة الإعلامية دوره في تناول أزمات الطاقة بهدف توفير طاقة آمنة وبأسعار معقولة، يجب تسريع زيادة الطاقة المتجددة لإمدادات الكهرباء والنقل والصناعة وتقليل الطاقة الأحفورية. يجب أن يتم تنفيذ انتقال الطاقة تدريجيًا بعد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر على اتجاه السياسة والقوة الشرائية للأفراد.

فضلاً عن الدور الجوهرى الفاعل للمعالجات الإعلامية لأزمة الطاقة في تحقيق استقرار وأمن الدول والأقاليم من عدمه؛ إذ إننا مازلنا نعانى من آثار المعالجات الإعلامية السلبية التي أوجدت أزمات بين دول سواء كانت صغيرة أو كبيرة فاعلة أو عظمى أو كبرى، كانت تلك الأزمات سبباً في عدم أمن واستقرار النظام الدولي.